بين الإصلاح المنشود والإفساد المقصود

في الروزنامة الدينية المغربية

الجزء (2)

ورد على الموقع السؤال التالي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أريد فقط أن أسأل الدكتور إن كان لديه ما يدلي به حول ما نسمع في هذه الآونة عن إصلاح مناهج التعليم بدار الحديث الحسنية والتفاصيل التي تتسرب عن ذلك الإصلاح في الصحافة!!! وكأن الأمر يتعلق بإصلاح السجون السرية للمخابرات الأمريكية وليس شأنا يهم المسلمين أن يطلعوا عليه. كما أود أن أعرف إن كان هناك من ربط منطقي بين هذا الإصلاح وما حدث لمناهج التعليم في الأزهر والقرويين إبان الاستعمار الغربي.

والسلام

الجواب (تابع)

ولعل خير مدخل لموضوع "إصلاح {..... } المجال الديني" عامة و"دار الحديث الحسنية" خاصة {أمام انعدام الوثائق الرسمية التي يمكن الاضطلاع عليها، للحكم موضوعياً على الخطة، وكذلك كي لا تتشعب بنا السبل والذاكرة مليئة بالمكبوتات التي تريد أن تقص قصتها}، الحوار الشبيه برجع الصدى الذي أجراه مدير موقع وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية: **حكيم الغساسي** على الانترنيت مع وزيره **الطرقي الجَلِد: أحمد التوفيق** بهذا الخصوص.

وها هو الحوار بحذافيره مع تعليقاتي عليه، من باب تنوير القارئ، وكشف الغطاء عن المستور، وتعرية مضمرات الخطاب، وإحاطة القارئ ببعض المحطات أو المنعطفات التاريخية المهمة التي غيرت من مجرى التاريخ الديني للسلطنة المغربية، التي اشتهرت بزمرة من السلاطين، عرفوا بـ "السلاطين العلماء"، كان آخرهم المولى: عبد الحفيظ (الصورة) الذي تنازل عن الحكم سنة 1912، لأنه لم يشأ أن يكون أول سُلطان أسرته يقبل بحماية الأجنبي له، بينما المفروض فيه أن يكون حامي الملة والدين، وإلا عُزل، والتي تحولت مع ذهابه إلى **سلطنة محمية** لا حول ولا قوة بيد سلاطينها، **وخارج شروط العقد المؤسس**، حيث صار **المقيم العام الفرنسي** هو الآمر بأمره، يعين السلاطين أو ويعزلهم بحسب ما ظهر له، حال ما صنعوا حين ولوا المولى يوسف **بن الحسن** (الصورة إلى اليسار) أخ المولى عبد الحفيظ ثم ابنه من بعده: **محمد الخامس** (الصورة إلى اليمين) الذي كان أصغر إخوته عندما سلطنوه وسنه لا تتجاوز 16 سنة، بغية التحكم فيه، وعزلوه عندما نضج وتبنى مبدأ الاستقلال، إلا ليضطرهم الشعب المغربي إلى إرجاعه إلى عرشه مرغمين بعد أقل من سنتين، في تلاحم مُثير بين العرش والشعب، ولتتحول السلطنة إلى مملكة مع فجر الاستقلال.

عبد الحفيظ بن الحسن 1908 1912م

يوسف بن الحسن 1912 1927م

محمد الخامس بن يوسف 1927 1961

ولم يسعد المغاربة باستقلالهم ولو لطرفة عين، حيث عملت أيادي الأجنبي ومعاوله فيهم من الشرور ما لا يوصف، ومما يندرج بعضه قطعاً ضمن "**الإجرام في حق الإنسانية**"، إلى درجة أن ما لا يحصى من المتنورين، والمثقفين، والعلماء، وخطباء المساجد، وأطر الأحزاب، والمقاومين، والنقابيين، والمحامين، والقضاة،....إلخ. تمت تصفيتهم، إما من طرف: الشرطة السياسية، أو بعض المتحزبين الجهلة، أو العملاء، أو الموساد الإسرائيلي، أو المخابرات الفرنسية، أو المخابرات الأمريكية.

هذا دون القتل الجماعي، كما حصل في الريف سنتي 1959/1958 بدعوى إخماد ثورة محتملة للسكان، ومعاقبة المنطقة على إثرها، وبها ثلث سكان المملكة، بإهمالها والصد عن التنمية فيها، مما ولد شعوراً هائلاً بالغبن بين المحليين لمعاقبتهم بالظنة أولاً على ما لم يقترفوا، ومصادرة مستقبلهم ومستقبل ذريتهم فوق ذلك!

وهو ما جعل شمال المملكة ووسطها يسيران بإيقاعين مختلفين وغير متناغمين، أو :

ما حصل في انتفاضة **23 مارس 1965 بالدار البيضاء**، حيث استشهد ما يزيد على 10000 تلميذ ومواطن **دفنوا في مقابر جماعية كمجاهل** لم يبحث فيهم قريب خشية أن يلحقهم من اقترفوا المجزرة بهم، بسبب خطأ بليد من وزير التعليم آنذاك!....وغيرها من الدواهي التي تجعل الولدان شيبا، فيما سيشتهر ب: "**عهد الرصاص**"، حيث استبيح دم المواطن المغربي، وهتك عرضه، واحتقر في الداخل والخارج، وأهينت كرامته وإنسانيته إلى درك لا يكاد يصدق!.

وهو ما أفقد البلد غالبية نخبته ومسيريه المحنكين، وأوقعه في الأزمة الاجتماعية التي لا زال يئن تحت وطأتها وإلى اليوم ولا منقذين في الأفق، جرياً على المثل السائر:

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر،

كل هذا، بحسب ظرف المكان والزمان والمستجد الداخلي أو الدولي:

- **حكيم الغساسي:**

تعرف دار الحديث الحسنية **إصلاحا!** في نظام دروسها، ما هي الدواعي لهذا **الإصلاح؟**

- **وزير الأوقاف:**

لا يمكن لمن يفكر في **إعادة هيكلة الحقل الديني!!!!!!!** إلا أن يفكر أيضا في تكوين علمي يتخرج به علماء متمكنون من العلم الشرعي التقليدي!!!!!، و من **المعارف الإنسانية الحديثة** ومن آلات **التواصل اللغوي**.

وقد فكرت!!!!!!! وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في هذا التكوين وتصورت!!!!!!!!! إطاره في شكل معهد جديد للدراسات الدينية!!!!!!!!!!!!!!!!.

ولما قدم المشروع لصاحب الجلالة أمر بالعمل على تحقيق هذا المطلوب من خلال "إصلاح !!!!!!!!!!نظام الدروس بدار الحديث الحسنية"، مع جعلها تحت "الإشراف الإداري والتربوي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية!!!!!!!!!!!!!!"

قلت: وهذا التشدق الكبير في "إعادة هيكلة الحقل الديني"، من وزير وقف عرف عنه أن:

1) فهمه في الدين كليل وعليل، وإيمانه وإيمان العجائز سواء، بدليل أنه طرقي: أي أمي ديني، ما دام يجهل بأن الإمام مالك (ت: 178 هـ)، الذي تدعي وزارته اتباعه، وصف "الصوفية" عندما ظهر منتحلوها لأول مرة في مدينة "نصيبين" بالعراق، تأثراً بالمسيحيين، بـ "الصبيان" و"المجانين"، ووصفهم بلديه جعفر الصادق (ت: 148 هـ) بـ"خُبثاء العقيدة"!

2) كونه لا هو في العير أو النفير بخصوص: **علوم القرآن**، أو علوم الحديث، أو علوم الشريعة، لأن هذه التخصصات، بالتنزيل العصري لها، الذي يمكن للقارئ أن يأخذ لمحة منه مما نعرض منها على موقعنا، فوق عقله وفوق مداركه، **بدليل أنه مؤرخ رديء وقاص**، وليس بعالم!

3) اما تطويحه **بالعلوم الإنسانية**، وهي علوم هشة وإيديولوجية بالأساس. فهذه قد تصلح للدردشة والتعالم الواهم، على ما جرت به عادة بعض الفيارسة المحسوبين على الإسلام، ممن نعتناهم بـ "**أصنام المشاريع**"، من شاكلة:

أ) الداعية الفرنكفوني الجزائري المتفرنس **محمد أركون** (الصورة)، فيما يطلق عليه: "**الإسلامولوجيا !**"، (islamologie)، التي لا يخسأ من نعتها بـ: "التطبيقية!"وهي إلى الثرثرية التي تزخر بها الساحة الفرنسية أقرب من حبل الوريد، ماتحاً من كتابات أمثال: المفكك جاك دريدا، والبنيوي ليفي شتراوس، ولاكان، وبيير بورديو،.....مما عرينا عن منطلقاتهم جميعاً في كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس" (صورة الغلاف)، ومسقطاً ذلك على الإسلام، حاسباً أنه أتى بما لم تأت به الأوائل!، بينما هو نقل بليد وإسقاط أبلد!

ويكفيك، من أجل أخذ فكرة مجملة عن التطبيقيات الأركونية العبثية المجنونة المسكن في الإسلام،: أنه يستغرب في مقدمة كتابه، "**تاريخية الفكر العربي الإسلامي**":

من اكتساح الظاهرة الإسلامية في الجزائر بصورة شاملة للجامعات العلمية في سنوات الثمانين من القرن الماضي!"

بينما هي ظاهرة طبيعية عامة، ليس في الجزائر فحسب، بل في العالم الإسلامي كله.
فما بالك، وسياق الآية 28 من سورة فاطر:

"إنما يخشى الله من عباده العلماء"

لا تخطئك النبأ: أي نوع من العلماء يقصد القرآن!، الذين عموا على أمثال أركون، لهشاشة منتحله وعدم انتمائه قطعاً إلى هذه الزمرة، مادام الله قد طبع على قلبه.

واقرأ عن حربائيته ومراوغته ما قاله عنه المستشرق الهولندي رون هاليبر في كتاب: "العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب" (الصورة).

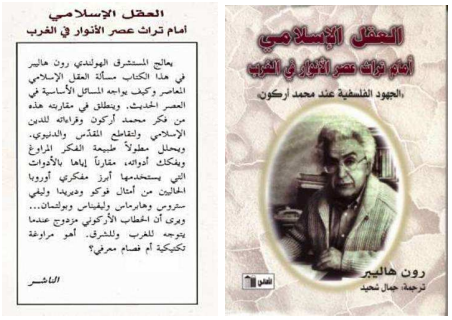

ب) أو داعيته ومعربه السوري هشام صالح (الصورة) الذي استقر بدوره في فرنسا مكافأة له على جهده في تعريب الفكر الفرنكفوني،

ت) أو الفرنكفوني المغربي **عبد الكبير خطيبي** الذي تخرج من السوربون في الاجتماعيات وضل سعيه فتحول إلى روائي، كالكثير من فرنكفونيي جيله من المغاربيين، الذين لم يملكوا ناصية اللغة الوطنية، فذهبوا يعزفون على نغمة فرنسية نشاز لا يستحسنها ولا يتذوقها لا العربي القح ولا الفرنسي القح، كما في رواياته: " الحب ثنائي اللغة" الذي ما هو عند المحاقة سوى حب أحادي اللغة: اللغة الفرنسية بالذات التي يجيدها دون لغته الأصلية،

ث) أو الحربائي الثقافي: اللبناني **علي حرب**، الذي مثل دور البهلوان الثقافي لفترة خلال ثمانينيات القرن الماضي،

ج) أو المشاكس المصري نصر حامد أبو زيد الذي حاول التعالم على بني قومه بمفهوم:"**الهيرميونيطيقا**" في بعض مؤلفاته، غير مدرك، لجهله بالوارد والصادر، أنها وليدة بيئتها المسيحية، ولا يمكن نقلها البتة للتعامل مع النص القرآني، مادام الذين ابتدعوها وهم المسيحيون اضطروا إليها اضطراراً، لانعدام النصوص الأصلية للعهدين القديم والجديد، لأنها جميعها ومن دون استثناء مفقودة، وبالتالي هم دوما في حاجة إلى التخرص بالمراد، بينما "**التأويلية الإسلامية**"[1]، المعتمدة على نصوص محكمة، علم محض، على ما أثبتنا: في كتابنا: "التأويلية الإسلامية: ماضيها وحاضرها- آفاق المستقبل" (غير مطبوع أنظر مقتطفات منه على موقعنا تحت مسمى: "التأويل".....والقائمة طويلة،

فكل هذه التخصصات لن تغني قطعاً العالم الشرعي ابن عصره من قطمير إن لم يكن متخصصاً أصلاً في العلوم الصلبة، ولا ينبئك مثل خبير، على ما تجده معروضاً بتفصيل على موقعنا.

ومن هنا، فتجشم الوزير القاص مغبة القيام بمثل هذه المهمة التي تنأى عن حملها الجبال الرواسي من العلماء المخضرمين، تسلكه قطعاً في عداد المعتدين على الدين، الذين يمارسون مهنة محاكم التفتيش، أسوة بإخوان له سيئي السمعة والذكر، درى أم لم يدر!

[1] أنظر : "التأويل" على موقعنا هذا.
http://www.alhiwar.org/ar/content/view/292/2

ومن هنا، فلا ينقضي عجبي، من تجرؤ أمثاله، وضحالة معارفه الدينية ما علمت، على هيكلة الحقل الديني، بينما هو نفسه بأمس حاجة إلى إعادة تصليح خلاياه العصبية، وغسل دماغه وإعادة برمجته من جديد، خصوصاً وهو:

1) **الذي لا يخفي مشربه الطرقي** الذي **استهجنه الإمام مالك ونعت أصحابه بالمجانين**،

والذي أخذه رأساً من الشيخ ياسين (الصورة)[2]، دون أن يبايعه على الموت كما فعل صاحب الأخير: **الملاخ** الذي فقد بصره بسبب ذلك!، أي أنه، مقارنة مع صنويه، أقل سمتا وأشبه بنجم الأرض من السنديان، وبآكل الدنيا بالدين، بالرغم من انتحاله لما ينتحلان!

2) كونه ثاني مستوزر قاص خارج العصر والتاريخ {*على طريقة حكواتية جامع الفنا بمراكش (الصورة إلى اليسار)، موطنه وموطن " الأضرحة" المتبرك بها شركاً بالله، المعروفين بالرجال السبعة*[3]}، يشغل هذا المنصب بعد **القاص عبد الكبير العلوي المدغري** (الصورة إلى اليمين)، الذي شغل ذات المنصب لثماني عشرة سنة عجاف بالتمام وأصبح ملياردير وصاحب ضيعات وخيرات، دون أن تستفيد وزارة الأوقاف منه من قطمير، اللهم ما كان من تبذير أموال الوقف في استدعاء أشباه علماء مزورين الذين يتآكلون سُحتاً بالدين، والصرف عليهم في الفنادق طيلة الشهر، من أجل إلقاء مواعظ باهتة خارج عصرها، ولا نور على منطقها في الدروس الرمضانية!

3) المؤرخ الرديء بالمعنى الحزمي، حال الكثير من أمثاله ومن جيله، مثل **التاريخاني القاص أيضاً!: عبد الله العروي**، الذين ابتلي بهم المغرب، حتى صار المغاربة من أجهل خلق الله بتاريخهم، إلى درجة أن وزارة الخارجية المغربية لم تكن تعرف، وفي عز وطيس أزمة **جزيرة ليلى** مع الأسبان، أن الأمريكان، وهم الوسطاء بين المغرب وإسبانيا في حل أزمة الحَجر، كانت لهم أطماع في ذات "**الحَجَر**" **لموقعه الاستراتيجي**، حيث كانوا قد طلبوه من المغاربة ولم يقبلوا بذلك!

وهو ما اكتشفه الصحفيون بذهول وليس المؤرخين الرديئين القصاص!

4) المستبد الأرعن المستغل لنفوذ المنصب، حيث عمل على **مُصادرة حق المغاربة في التعرف على كتبنا**، جانياً على نفسه وعليهم، حيث حال بينها وبين أن تصل إلى طالبيها في المكتبة الوطنية، كما تقتضي مساطر ولوائح النشر بالمغرب، فقط لأنه وجد بها مؤلفاً يُعري عن منتحله الذي لا برهان له عليه، طوال الفترة (29 يونيو 1995 - ديسمبر 2003)، التي ظل فيها قيماً على الخزانة الوطنية المغربية (الصورة).

وحين تجشم كاتب هذه السطور مشقة مُفاتحته واستفساره في الموضوع بمنتهى الأدب، حيث لم أكن أعرف من يكون الرجل ولا منتحله، بعد أن نبهني الكثير من رواد المكتبة على هذا الخلف، أجابني بعجرفة من ليس في قلبه ذرة من مروءة أو حياء[4] ، وهو ما لا يؤهله مطلقاً للحوار، فما بالك بالتواصل، وأسلاكه ذاتها مقطوعة!؟

---

[2] عندما انفصل ياسين عن الزاوية البودتشيشية.

[3] يوجد من بينهم قبر القاضي المالكي "عياض"، الذي لا علاقة له بالتصوف والمتصوفة ولا بلبس الخرقة، وعصره سابق على دخول هذه البدعة إلى المغرب التي حاربها الفقهاء المالكيون بضراوة، والتي لن تبدأ في الانتشار سوى بعد ذهاب ريح دولتهم. ولا شك أن القاضي عياض رحمه الله، لو كان له سبق علم بما سيئول إليه قبره كضريح يزار ويستبرك به، لتضرع إلى الله أن يتوفاه في بلدة غير هذه البلدة.

[4] كما حاربها وزير الثقافة: محمد الأشعري، مستغلاً للنفوذ، في المعرض الدولي السابع للنشر والكتاب، المقام في مدينة الدار البيضاء خلال الفترة (5 – 15 نوفمبر 1998).

فعرفت أن الرجل، ليس تنقصه المعرفة الشرعية فحسب على ما تقدم، بل السلوك الإنساني القويم أيضاً، وهو سنام ما تخوض فيه الصوفية والطرقية، دون أن توفيه حقه، لأنها ضيعت الأصل واهتمت بالخرق وتلبيسات إبليس!

هذا عن المُهيكل الذي أنيطت به مهمة هيكلة اعتقاد المغاربة، على طريقة **محاكم التفتيش**، أما عن مضمون ما صرح به فلنا عليه ملاحظتان:

الملاحظة الأولى:

يقول موقع وزارة الأوقاف الإلكتروني:

- كانت الإدارة المكلفة بالأوقاف عبارة عن "بنيقة" (مكتب صغير) في دار المخزن (*المكان الذي يضم مختلف الإدارات الحكومية*). **وفي عهد الحماية الفرنسية عهد بتدبير ممتلكات الأوقاف لإدارة عين مديرها بظهير.**

- وفي عام 1955[5]، سميت إدارة (الأحباس) لأول مرة في تاريخها بـ "وزارة الأوقاف".
- وبعد ستة أعوام (أي سنة 1961) تغيراسم الوزارة وأصبح "وزارة الشؤون الإسلامية". ولم تتخذ الوزارة اسم "وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية" بصفة نهائية إلا سنة 1963.

قلت: ويهمنا في الفقرة السابقة وفي المقام الأول:

"كيف تم تدبير ممتلكات الأوقاف المغربية من طرف فرنسا الاستعمارية؟".

لكن قبل هذا، لا بد من توطئة تاريخية ضرورية.

مما لا شك فيه، أن لفرنسا الاستعمارية، صاحبة الشعارات الطنانة والنقائضية:"حرية"، "إخاء!"، "مساواة!"و"حقوق الإنسان"، تاريخ طويل وكالح في الانتهاكات الدينية والجرائم السياسية، التي يصنف الكثير منها بدون جدال ضمن "الإجرام في حق الإنسانية"، حال ما اقترف الجنرال "طوماس بيجو" (General **Thomas** Bugeaud) (الصورة) في الجزائر بإتباع حرب الأرض المحروقة[6]، زيادة على:

تبخير المدنيين حتى الموت في المغارات التي اختبئوا فيها، فراراً من بطش جنوده الذين كانوا يتبعون سياسة الأراضي المحروقة في اجتثاث الجزائريين من أراضيهم كالأرانب[7].

---

[5] أي بعد استقلال المغرب.

[6] أرسل بيجو إلى الجزائر، إبان ثورة المجاهد الأمير عبد القادر، فخاض معركة "السكة" في 6 يوليو/تموز من سنة 1836. وقد وقع معاهدة "تفنة" مَع الأمير عبد القادر في 30 أكتوبر/تشرين الأول 1837، إلا لينقضها مجدداً، وعاد إلى فرنسا وتم تعيينه حاكماً عاماً علىَ الجزائر مِن قِبل حكومة "تييرز" (Thiers) في 1840. فجعل من شغله الشاغل تقوية الهيمنةِ الفرنسيةِ على الجزائر وأنشأ المكاتبِ العربيةِ.حصل على رتبة "مشير فرنسا" في يوليو/تموز من سنة1843، وحصل على الرخصةِ لمُهَاجَمَة المغرب، الذي ساعدَ الأمير عبد القادر دائماً في جهاده. وسوف ينتصر على الجيش المغربي غير المنظم في معركةِ إيسلي في 14 يوليو/تموز من سنة 1844، لتنعم عليه دولته بلقب" دوق إيسلي" ؛ وظل يحارب الأمير عبد القادر حتى سنة 1847.

[7] "سان أرنو" (***Saint Arnaud (1798-1854)***) الذي صاحبه في غزواته:

Lettres du maréchal de Saint Arnaud (1798-1854), *(2 tomes) - 1855 - 572 et 606 pages*

أما عن الحربائية السياسية الفرنسية، في عدم الوفاء بالعهود والمواثيق فحدث ولا حرج.

فالكذب الصراح، والخداع الأرعن، و***انعدام الضمير والوازع الأخلاقي***، نأخذها جميعها جرعة واحدة من مذكرات ميدانية لأحد جنودها الأبرار، وهو "سان أرنو" (**Saint Arnaud (1798-1854)**) (الصورة)، من باب : "وشهد شاهد من أهلها".

قدم سان أرنو إلى الجزائر **كملازم** في أوائل سنة 1837، وغادرها **كجنرال ماجور** (جنرال رئيسي) في سنة 1851، مما ينبئ عن ثقل الدم الجزائري المسفوح للوصول إلى هذه الرتبة!

هنا في هذا القطر الحبيب المبتلى؛ وطوال كل هذه السَنَواتِ الخمس عشْرة العجاف التي قضاها في طابور الجيش الاستعماري الفرنسي، إما في الغربِ الجزائري، أو في شرقِه؛ راسلَ أخاه بانتظام، يوما بيوم، مطلعاً إياه وبتفصيل على نشاطه العسكري في الحملة الفرنسية على الجزائر التي دامت أربعين سنة، دون وخز من ضمير، بسبب القمح الذي اشترته حكوماته الاستعمارية من الجزائر ولم تدفع ثمنه قط!

لقد تحايلت فرنسا الاستعمارية بشكل بهلواني، ولما يجف بعد مداد وثيقة حقوق الإنسان، التي أعلنها ثوارها، على سرقة حاكم الجزائر حسين داي بالمكشوف، بالرغم من كونه أطعم جنودها وهي في محنة مع الإنجليز، وأسلفها مليون فرنك من دون ربا، وأمدها بشحنات من القمح حتى بلغ دينه على فرنسا سبعة ملايين من الفرنكات، إلا لتجازيه هو وشعب الجزائر جزاء سنمار، بالأسطورة التي ضغضغت بها عقولنا البريئة ونحن صغار في مدارسها الاستعمارية، والتي لا زالت تشحن بها عقول الناشئة الفرنسية ومفادها، أن داي الجزائر **هش بمروحته في وجه ممثل فرنسا في الجزائر** (الصورة)، وهو ما كان يتطلب محو هذا العار وهذا الشنار بغزو الجزائر!!!!!

يقول سان أرنو (الصورة) في مذكراته لشهر مايو سنة 1841:

لقد مكثنا نقاتل حتى نهاية شهر يونيو (حزيران) في ولاية وهران نخرب كل المدن وكل ممتلكات الأمير (المجاهد عبد القادر). سيجد (الأمير) الجيش الفرنسي في كل مكان والمشاعل في أيديهم (مايو 1841)	***« Nous resterons jusqu'à la fin juin nous battre dans la province d'Oran, et à y ruiner toutes les villes, toutes les possessions de l'émir. Partout il trouvera l'armée française, la flamme à la main (mai 1841) »***

ويقول أيضاً:

"نتواجد في وسط الجبال بين (مدينتي) مليانة وتشرشل. لا نطلق سوى القليل من رصاص البنادق، نحرق كل الدواوير (المداشر)، كل القرى، كل الأكواخ. العدو يفر في كل مكان آخذين معهم قطعان ماشيتهم". "محاطاً بأفق من النار والدخان، الذي يذكرني بأرض نبيل ألماني مصغرة، أفكر فيكم جميعاً وأكتب لك. لقد تركتني عند البرازيين، حرقتهم وشردت بهم، وها أنذا عند السندقاديين، نفس الإعادة بشكل أكبر، حقيق أنه مخزن غلال وفير... بعضهم جاءوني ليَقدموا عليّ بفرس الاستسلام. رفضت!! لأنني كنت أطلب استسلاماً عاما، فشرعت في التحريق (وهران، أكتوبر 1842)"	***« Nous sommes dans le centre des montagnes entre Miliana et Cherchell. Nous tirons peu de coups de fusil, nous brûlons tous les douars, tous les villages, toutes les cahutes. L'ennemi fuit partout en emmenant ses troupeaux ».*** ***« Entouré d'un horizon de flammes et de fumée qui me rappelle une petit Palatinat en miniature, je pense à vous tous et je t'écris. Tu m'a laissé chez les Brazes, je les ai brûlés et dévastés. Me voici chez les Sindgads, même répétition en grand, c'est un vrai grenier d'abondance... Quelques-uns sont venus pour m'amener le cheval de soumission. Je l'ai refusé parce que je voulais une soumission générale, et j'ai commencé à brûler (Ouarsenis, octobre 1842) ».***

وعلى من يجيدون اللغة الفرنسية، أن يقرءوا[8]: كيف تم تحريق وخنق ثلاث قبائل برجالها وشيوخها ونسائها وأطفالها وماشيتها معها في ثلاث مغارات تتواجد في منطقة "الظاهرة" بين **وهران** و**الجزائر العاصمة** ونشرت وقائعها في مجلة: "المعركة الاشتراكية"[9] لسنة 1930، تحت عنوان "مائة سنة من الرأسمالية في الجزائر"[10] (الصورة تظهر الهجوم على قسطينة في أكتوبر سنة 1837، وقد رسمت على خشب من طرف رافيت (Raffet) وحفرت من طرف روارغ (Rouargue) سنة 1843

وقد لا يستغرب المسلم، أن يعترف الفرنسيون أنفسهم، بأن **الأمير عبد القادر**، المسلم (الصورة)، كان دوما من الناحية الإنسانية والأخلاقية شهماً دمثاً يحترم المواثيق والمعاهدات في كل الظروف، وفوق الفرنسيين بمراحل في هذا المجال، وبأنه كان يطلق سراح الأسرى الفرنسيين، إذا لم يتوفر له إمكانية إطعامهم، فلا يصدقون ويتوجسون خيفة على ما عهدوا مما اقترفت أيديهم في حق الجزائريين من بربرية يندى لها جبين الإنسانية، إلا أنهم المرة تلو المرة يجدونه عند وعده!

إنها الأخلاق القرآنية، ولا مقارنة!!!!!!

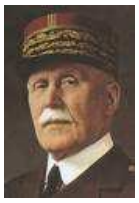

وهل أذكر القارئ بما اقترف المشيران الفرنسيان: "ليوطي" و"**بيتان**" (**Maréchal Pétain**) (الصورة) في حرب الريف حين شاركا **الإسبان** جريمتهم في حق الإنسان المغربي،

بإلقاء القنابل الفسفورية والكيميائية على المدنيين إبان ثورة المجاهد عبد الكريم الخطابي بالريف (1921-1927)[11]، رغم تحريم استعماله دولياً بمعاهدة فرساي لسنة 1919 وبروتوكول جنيف لسنة 1925 في الحروب، فما بالك أن تلقيها الحكومة الفاشية الإسبانية على المدنيين العزّل؟

الوقائع:

1) لقد تكتم المسئولون الأسبان على اختلاف مشاربهم السياسية على القنابل الكيميائية التي ألقتها مؤسستهم العسكرية على ساكنة الريف **بالطيران والمدفعية الميدانية** إبان ثورة الريف، من شاكلة: "**غاز الخردل**" (الإيبريت) (yperite) التي لا تتبخر بسهولة، و"**الفوسجين**" (phosgene)، و"**الفوسجين الثنائي**" (diphosgene)، و"**الكلوروبيكرين**" (chloropicrin)، إلا أن بَعْض المؤرخين الأسبان مثل: "**مرية روزا دي مداريا غا**" (Maria Rosa De Madariaga)[12] في بحث تحت عنوان: "**العرب الذين استقدمهم فرانكو...تدخل القوات الاستعمارية في الحرب المدنية**" { ***Los moros que trajo Franco... La intervención de tropas coloniales en la guerra civil*** } (2002)}، و"خوان باندو" (Juan Pando) في: "التاريخ السري لأنوال" (***Historia secreta de Anual***) المنشور سنة 1999، و"كارلوس لازارو أفيلا" (Carlos Lázaro Ávila) في بحث تحت عنوان: "**بناء الطيران العسكري: المغرب** (1909 – 1927)" { ***La forja de la Aeronáutica Militar: Marruecos (1909-1927)*** } أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك وبتوثيق مسهب من المصادر العسكرية: الإسبانية (***Servicio Histórico Militar (SHM)***)، ووزارة الخارجية الفرنسية، والمكتب الخارجي البريطاني (Foreign Office)، حصول ذلك على نطاق واسع.

وتقول المؤرخة الأسبانية ما ريا روزا بأن الأسبان استعملوا هذا

---

[8] أتمنى أن يتطوع أحد الغيورين بترجمة هذه المقالة، أو أن يعلمني بترجمتها إن وُجدت.

[9] {La Bataille Socialiste}

[10] {Cent ans de capitalisme en Algérie (extraits, 1930)}

[11] بمشاركة مع إسبانيا. ولا زالت الدولتان تتستران على هذه الجرائم التي تقض مضاجع مؤرخيهما، والتي لا بد وأن يعترفا بها ويقدم الأعذار والتعويضات للضحايا طال الزمن أم قصر.

[12] الرابط التالي: أنظر http://www.nodo50.org/maranosa/prensa/revista16_rif.html

السلاح الفتاك على نطاق واسع في خريف سنة 1925 بالريف، واستعمله الفرنسيون بعدهم بشهور قليلة في الجبهة الشمالية بنواحي مدينة فاس.

وذكر مراقب الطيران العسكري: "بيدرو توندا بوينو" (Pedro Tonda Bueno) في "سيرته الذاتية": "**الحياة وأنا**" (La vida y yo) التي نشرها سنة 1974، عن إطلاق الغازاتِ السامّةِ مِنْ الطائراتِ والتَسَمّم الذي حصل بعد ذلك لمياه العيون بالريف.

2) وكشف الطيار: "**إجناسيو هيدالغو دي سيسنيروس**" (Ignacio (Hidalgo de Cisneros y López de Montenegro (1894-1966)[13] (الصورة) في "سيرته الذاتية" المعنونة ب "تحويل المسار" (Cambio de rumbo) بأنة كان من أوائل الرواد الذين ألقوا بعِدّة قنابل من الغازاتِ السامّةِ على الريف من طائرته من نوع: "فارمان" (Farman F.60).

3) وظهر في سنة 1990، تحقيق قام به صحفيان ومحققان ألمانيان وهما: "روديبورت كونز" (Rudibert Kunz) و"رولف - ديتر مولير" (Rolf-Dieter Müler) حمل عنوان: "**غاز سامّ ضدّ عبد الكريم: ألمانيا، إسبانيا وحرب الغاز في المغرب إسبانية (1922-1927)**"[14])، ساهمَ باختباراتِ تُثبتُ بأنّ القصف حَدثَ في المنطقةِ المنتفضة.

4) وأكد المؤرخ البريطاني "**سيباستيان بالفور**" (Sebastian Balfour) (الصورة)، من مدرسة لندن للإقتصادِ، في كتابه: " العناق القاتل" (Deadly Embrace)[15]، الإستعمالَ الهائلَ للأسلحةِ الكيميائيةِ. وقد تأكد لبالفور، بعد أن دَرسَ أرشيفاتَ بريطانية وفرنسية وإسبانية عديدةَ، بأنّ إستراتيجية الجيش الإسباني كَانتْ مستندة على استهداف المناطقَ المأهولة جداً بالسكان كأهداف. وهو ما يُؤكّدُه، على سبيل المثال , مسؤول بريطاني، وهو: "هـ. بوف لويد" (H. Pughe Lloyd) في برقية أرسلها إلى وزير الحربيةِ في بلادِه في سنة 1926.

وكانت الهستريا عامة

إذ بعد فترة وجيزة من وقعة "أنوال" (الصورة من موقع "موسوعة ويكيبيديا" تبين بقايا الجنود الأسبان على أرض المعركة) التي سجل فيه الريفيون بقيادة عبد الكريم انتصاراً ساحقاً على القوات الاستعمارية الإسبانية، حتى باتت "أنوال" لا تسمى عند الأسبان سوى بـ "الكارثة"، ومع ما استتبع ذلك من انهيار قيادة العمليات العسكرية المتمركزة في مدينة مليلية المحتلة في أغسطس/آبِ يوليو/تموز سنة 1921، بدأت أصوات ترتفع في صحافةِ إسبانيا كلها، وفي الكونجرس الإسباني تطالب بإلحاح باستعمالَ كُلّ الأسلحة الهجومية الضرورية، بما في ذلك الغازاتِ السامّةِ، لإنْهاء حركةِ عبد الكريم، وللسَيْطرَة نهائياً على المنطقةِ بقوة السلاح وتلقين الريفيين درساً لن ينسوه!

ففي مقالةِ بتاريخ (5 مِنْ سبتمبر/أيلول 1921)، تذمر النائب البرلماني

---

[13] Siguió la carrera militar por tradición familiar. Fue uno de los *pioneros de la aviación de bombardeo en la guerra de Marruecos*.

14 ***Giftgas Gegen Abd El Krim: Deutschland, Spanien Und Der Gaskrieg in Spanisch-Marokko 1922-1927 (1st edition),*** **Authors: Rudibert Kunz, Rolf-Dieter Muller, Language: German, Format: Book (Illustrated), 239 pages, Publication Date: January 1990, ISBN-10: 3793001962, ISBN-13:9783793001966, Freiburg 1990. Zurück.**

[15] Balfour, Sebastian. *Deadly Embrace. Morocco and The Road to The Spanish Civil War*. Oxford University Press, 2002.
Balfour, Sebastian. *Abrazo mortal. De la Guerra Colonial a La Guerra Civil. España y Marruecos (1909-1939)*. Peninsula, 2002.

"**إف. كريسبو دي لارا**" (F. Crespo de Lara) من بطء تنفيذ هذا الوعيد، حيثً كَانَ يُنظّمُ الطيرانَ العسكريَ وبأنه الوحيد الذي لم يشرع بعد في **اسْتِعْمال الغازاتِ الخانقةِ!.**

وفي مقالةٍ أخرى له بتاريخ 10 مِنْ أكتوبر/تشرين الأول من نفس السنة، أصرَّ على ضرورة التعاقد مع طيّارين أجانبِ لهم تجربةٍ كافيةٍ في الجيوش التي شاركتْ في الحربِ الأوروبيةِ الأولى وتَدرّبتْ تدريباً جيداً في عمليات القنبلة, وبأن تحمل طائراتهم بالغازاتِ الخانقةِ.

وهو ما حصل فعلاً، حيث شارك طيارون مرتزقة حتى من أمريكا البعيدة في هذه المهمة الإجرامية واللاإنسانية.

ولم تختلف نغمة الصُحُفِ الأخرى، ومن ضمنها الصحف الليبرالية حال: "الهيرالدو دي مدريد" (*Heraldo de Madrid*) التي طالبت بدورها باستعمال هذا السلاح الفتاك ضد الريفيين.

والملفت هو أن عبد الكريم ومجاهديه كانوا على علم مسبق بنوايا الأسبان، كما يظهر من رسالة كتبها القائد حدو بن حمو إلى الأمير عبد الكريم بتاريخ 31 أغسطس سنة 1921، ينصحه فيها بعدم إطلاق سراح أسرى معركة أنوال، لأن الإسبان سيجدونها فرصة لاستعمال هذه القنابل بشكل واسع على الريف كله.

هذا مع العلم بأن الريفيين لم يطلبوا من الأسبان القدوم إلى بلدهم وإنما هم الذين اعتدوا عليهم بدون مبرر!

ولا زال المسئولون الفرنسيون كنظرائهم الأسبان، وعلى اختلاف مشاربهم الحزبية، يصرون على إغلاق الأرشيف الخاص بهذه الجرائم في الدولتين، ويماطلون في الاعتراف بجريمتهم النكراء والاعتذار وتعويض ورثة الضحايا، ظناً منهم أن هذا التكتم قد يطمس الحقيقة إلى الأبد!

وهذا غيض من فيض.

الآن وقد تعرفنا على أنماط من بربرية الجنود الاستعماريين الفرنسيين مع المدنيين العزل، فهل ننتظر أن يتعاملوا بأريحية مع أوقاف المسلمين ومساجدهم؟

بالطبع لا! وأسرد هنا بعض الأمثلة:

فعندما احتلت الجيوش الفرنسية الشام أمر المفوض الفرنسي المندوب الفرنسي بالإشراف على أوقاف المسلمين دون أوقاف اليهود والنصارى !

هذا، في حين أن الدولة العثمانية لم تتدخل قط في شؤون **الأوقاف** اليهودية ولا النصرانية..!

لماذا ؟

لأنها كانت ملزمة بأخلاقيات القرآن في هذا المجال، بالرغم من كل تقصير يمكن أن يؤخذ على بعض الأفراد الجاهلين بأوامر الدين الإسلامي!

يقول محمد كرد علي { 1293هـ/1876 - 1372هـ /1953 } (الصورة)[16]:

وكذلك يقال في "مجلس **الأوقاف** الإسلامية "الذي قضت المفوضية تأليفه ففصلت دواوين **الأوقاف** الإسلامية عن الحكومات المسلمة الأهلية ووصلتها مباشرة بالمفوضية العليا وجعلت لها مستشاراً غيرَ مسلم يتصرف في شؤونها الإدارية والمالية بسلطة واسعة.

ويضيف:

وأرى أن تتخلى المفوضية العليا في بلاد الانتداب الفرنسي عن التدخل بأوقاف المسلمين بواسطة مستشارها الفرنسي المستمد منها نفوذه مباشرة فإنه لا فرق بين هذا التدخل وبين التدخل بشؤون الصلاة والزكاة والصيام والحج لأن الولاية على **الأوقاف** الخيرية من القضايا الشرعية الصرفة.

قلت: وما فعله الاستعمار الفرنسي في أوقاف المسلمين بالشام سيكرره أيضاً في المغرب الإسلامي، حيث تألبت على **المغرب** كوكبة من الدول الأجنبية في بداية هذا القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد كانت الجزائر وتونس تتوفران على أوقاف غنية ووفيرة، فلم تكد فرنسا تستولي على القطرين الشقيقين حتى بسطت يدها إلى أحباس -أوقاف -المسلمين، وضمت الأحباس الإسلامية الجزائرية إلى أملاك الدولة .. ثم صدر القانون الشهير عام 1905م وتم توزيع أراضي **الأوقاف** على المعمرين الفرنسيين..[17]

وأمر الحاكم الفرنسي للجزائر السفاح: "الجنرال طوماس بيجو"، بقرار عام 1843م، بضم **الأوقاف** الإسلامية إلى "إدارة الروميين"، تحت سيطرة موظف فرنسي سام[18].

قلت: وقصد الاستعمار المبيت من ضم **الأوقاف** الجزائرية إلى الميزانية العامة، لم يكن لجانبه المادي فحسب، وهو مهم في حد ذاته، وإنما لتجفيف الرزق على العلماء، لأن قطاعاً مهماً من العلماء الأحرار كانوا يعيشون من **الأوقاف** بعيدين عن أعين السلطة.

وقد استوعب "طوماس بيجو" الدرس من إفشال الأزهريين لحملة **نابليون بونابارت** (الصورة) على مصر {18 من المحرم 1212هـ / 2 يوليو 1798م – 2 سبتمبر 1801 م}

ذلك أن نابليون كان قد أنشأ ديوان القاهرة مكوناً من تسعة من كبار مشايخ الأزهر لحكم مدينة القاهرة وتعيين رؤساء الموظفين في اليوم الثاني لدخوله القاهرة (11 صفر 1213هـ/25 يوليو 1798م).

---

[16] محمد كرد علي: خطط الشام، ط3، المجلد الخامس. دمشق، مكتبة النوري 1403 هـ.

[17] محمد بن عبد العزيز بن عبد الله: الوقف في الفكر الإسلامي، جزءان، مطبوعات وزارة **الأوقاف** والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية1416 هـ

[18] في جزائر سنة 1830 كانت الأمية بين الجزائريين، بسبب الوقف الإسلامي، لا تتجاوز نسبة 20 %، وستصل هذه النسبة إلى 80 % مع استقلال الجزائر سنة 1962. هذا زيادة على إفناء 10 % من الشعب الجزائري. ومن بين 1800 مدرسة وكتاب كانت تفتخر بها العاصمة "الجزائر" قبل الاحتلال، حول المستعمرون 1200 منها على اصطبلات وغيرها....

ولم يتمتع الديوان بأية سلطة في أي أمر من الأمور، وانحصر دوره في مد الفرنسيين بالمشورة فيما يطلب منهم، ومقيدين بتعهد مكتوب، بعدم القيام بأي عمل ضد مصلحة الجيش الفرنسي.

فالديوان أقيم إذن لغرض استعماري محض ولا علاقة له بشعار الحرية المعلن للفرنسيين، حيث لم يُرد منه سوى تكريس الاحتلال الفرنسي.

ومما يجهله الكثيرون أنه كان للمغاربة والحجازيين والشوام مآثر في مؤازرة إخوانهم المصريين، حيث ساهموا في ثلاث ثورات عارمة انتهت كلها بالفشل، إلا أنهم لم ييأسوا وظلوا يثابرون، إلى أن تمكنوا من قتل كليبر (Kleber) (الصورة)، خَلف نابليون، بعد أن فر الأخير إلى أوروبا، على يد سليمان الحلبي، ليخرج الفرنسيون بعد ثلاث سنوات من دخولهم.

لقد مكث نابليون في مصر لسنة واحدة فقط: من يوليو 1798 إلى يوليو 1799.

وبيِّن جلي، أن مؤسسة الأوقاف استهدفت، لأنها أولاً وقبل كل شيء تضم أصحاب الرأي الحر المقاوم والمعادي للوجود الفرنسي بالجزائر، فجاء قرار "الجنرال بيجو" بضم **الأوقاف** لضرب عصفورين بحجر واحد:

-1) العصفور الأول: اقتصادي ويتمثل في زيادة رصيد الميزانية الاستعمارية الفرنسية.

-2) العصفور الثاني: سياسي ويتمثل في السيطرة على أصحاب الرأي المضاد للوجود الفرنسي.

ونفس الخطة طبقت في تونس.

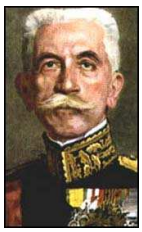

لكن، كيف كان الحال مع المغرب ؟

جاء لوي هوبرت ليوطي (**Louis-Hubert LYAUTEY**) (1854-1934) (الصورة)[19] إلى المغرب وقد استفاد من درسي الجزائر وتونس وما أحدثته التجربة الاستعمارية هناك من

---

[19] ولد لوي هوبرت ليوطي في مدينة نانسي (Nancy) الفرنسية في 17 نوفمبر/تشرين الثاني, 1854.
ومثل العديد من أسلافِه، فقد أعد نفسه مبكراً جداً للمهنةِ العسكريةِ وانتسب إلى مدرسةِ القدّيس سير (Saint-Cyr) العسكرية في سنة 1873. وبعد أن أتم دراسته بها أُرسلَ إلى الجزائر حيث بَقى هناك سنتانَ كضابط سلاح الفرسان. وقد زار بعد عودته إلى أوروبا، الكونتَ شامبور (comte de Chambord)، ممثل الملكيين في منفاه للتعبير عن ولائِه له. لكن، أمام انقسام وضعفِ الملكيين، اضطر إلى الرجوع إلى رشده ليؤيد الجمهوريةِ.
وقد غادر فرنسا ثانيةً إلى التونكين (Tonkin) بالهند الصينية في سنة 1894، ثمّ إلى مدغشقر، في سنة 1897، ليصبحْ عقيداً، في سنة 1900. وقد استطاعَ القضاء على الانتفاضات المحلية واهتم بدَعْم التنمية الاقتصادية فيها.
وقد دُعِي في سنة 1903 مِن قِبل الحاكمِ العامِّ "جونار" (Jonnart) في الجزائر، ليحصل على رتبة جنرال هناك.
وسيصبح في سنة 1912 بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب بتواطؤ دولي، المقيمَ الأولَ لفرنسا بالبلد. هنا تعرف بسرعة على عادات القبائل المغربية من خلال الحروب التي شنها عليها باسم: "السلم" على الطريقة الرومانية. وقد أظهر احتراماً للدين الإسلامي ولشخص السلطان، وعمل على استمالة النُخَبِ المحليّةِ، ليشرع في منشئاته العمرانية التي لم يشهد لها المغرب مثيلاً في تاريخه كله، وفي ظرف وجيز (أقل من 13 سنة). فمدن الدار البيضاء، والرباط وغيرها تشهد لبصمته في معماريتها، وكذلك السدود وسكك الحديد والطرق...إلخ. فهو بحق، برغم استعماريته وكل ما يمكن أن يؤخذ عليه، يُعد باني المغرب الحديث.
وسيتَركَ وظائفَه بشكل مؤقت أثناء الحرب العالمية الأولى، ليصبحَ، بين ديسمبر/كانون الأول 1916 ومارس/آذار 1917، وزير الحربِ في وزارةِ "بريان" (Briand). وبعد عودته إلى المغرب، رقي في سنة 1921 إلى رتبة "مشير فرنسا". لكن عداوةَ اليسار الفرنسي، ستسحب منه أثناء حكومة "بالوفي" (Painleve)، قيادة القوّاتِ ضدّ انتفاضة المجاهد عبد الكريم الخطابي لتسندها إلى المشير "بيتان" (Petain)، وهو ما دفعه إلى تقديم استقالته والعَودة نهائياً إلى فرنسا في سنة 1925، ليُنجزُ هناك، قبل مَوته بقليل كاستعماري أصيل: المهمّة الأخيرة في حياته وهي تنظيم "المعرض الإستعماري" (l'Exposition coloniale) لسنة 1931.
من مؤلفاته: " *الدور الاجتماعي للضابط في الخدمة العسكرية العالمية* "، المنشور في مجلة "العالمَيْن" سنة 1891، والذي سيؤثر على جيل كامل من الضبّاطِ الاستعماريين الفرنسيين وكتاب: "*عن الدور الاجتماعي للضابط في الخدمة العسكرية العامة* " سنة 1900، ونَشر أيضاً في جنوب مدغشقر: "*اختراق عسكري، حالة سياسية واقتصادية (1903)، ثمار تجربة مدغشقر الاستعمارية* ".
وقد انتخب عضواً بالأكاديميةِ الفرنسيةِ في 31أكتوبر/تشرين الأول 1912، ليحتل كرسي "هنري هوساي" (Henry Houssaye) ب27 صوتٍ, ولن تقبل عضويته سوى بعد انتهاء الحربِ في يوليو/تموز 8, 1920، مِن قِبل الأسقفِ دوشيسن (Mgr Duchesne).

ردة فعل، فحاول تبني سياسة جديدة تتلافى الوقوع في مثل تلك المحاذير التي سودت وجه فرنسا. لذلك جعل من شغله الشاغل ابتداع خطة أطلق عليها اسم "إصلاح"، وهي إلى "الإفساد" أقرب، حيث أعاد هيكلة أملاك الأحباس المغربية، التي كانت تعاني منذ مدة من معضلتين بنيويتين قاتلتين:

الأولى: وهي ارتشاء نظار الأحباس، حيث كانوا يترامون على هذا الحقل بغية استغلاله لمآربهم الخاصة، مزورين للدفاتر، والحسابات، والمستندات، ومضخمين لفواتير الصيانة، ومقلصين من المداخل، وذلك لما دأبوا عليه من إكراء للعقارات الوقفية بدون إنزالها إلى السوق في مناقصات وعروض عامة، ودافعهم ووازعهم في ذلك كله مطمع: الارتشاء لا غير، دون وازع من دين أو ضمير!، ومجمعين للثروة على حساب الوقف، وكأنهم الورثة الحقيقيون لمثل هذه التركات!،

الثانية: عدم احترام المنتفعين من أملاك الأحباس لحقوق الانتفاع ، بحيث كانوا يلتجئون إلى طرق ملتوية وغير شريفة تفضي بهم في آخر المطاف إلى التصرف في الوقف وكأنه ملك خاص لهم ورثوه أباً عن جد!.

وقد كونت إدارة الحماية لجنة أشركت فيها مغاربة و**مراقبين فرنسيين**، قامت بإحصاء وجرد لكل ممتلكات الأوقاف فحصرت حوالي 16 ألف عقار، بقيمة حوالي 70 مليون بسيطة حسنية، تم تخصيص جزء من الفائض الذي تضاعف أربع مرات ما بين سني 1913 م - 1916 م لترميم بعض المساجد والمدارس وخلق بعض المناصب.

وهكذا تم للأوقاف التمكن من تسيير حوالي 500 مسجد، ودفعت أجوراً هزيلة لحوالي 5000 عون ومرتبات لحوالي 15 قاضي و 250 معلم تقليدي كتابي ووفرت مئونة غذائية هزيلة لحوالي 800 من الطلبة وأهزل منها لحوالي 15 ألف من المعوزين[20].

وفي مقابل هذه الحصيلة الهزيلة، التي هي أشبه بذر الرماد في العيون، فقد استفادت الإقامة العامة من "**إصلاحها الإداري**" هذا في جرد ممتلكات الأوقاف والتعرف الدقيق على أملاكها، لتستولي لاحقاً على ما يروق لها منها، إما بدعوى المصلحة العامة وحتى بدونها.

فالجرد خدم مصلحة المعمرين الذين فوتت لهم عقارات وأراضي مهمة وخصبة سواء بداخل المدن أو بالأرياف.

وما كان للمشير ليوطي أن يخرج من جلده كمستعمر، وهو يستحضر ما راكمت فرنسا في هذا المجال من تجاربها في الشرق وفي تونس والجزائر.

فـ "**الإصلاح**" هنا كان لخدمة الأهداف الإستراتيجية والسياسية للمعمر، لأن قائمة القضاة أو أصحاب الكتاتيب، الذين استفادوا من هبة الأوقاف، لم تشمل قطعاً مناوئي فرنسا وسياستها، وهو بيت القصيد.

وكل ما هناك، هو أن الفرنسيين أزاحوا طفيليين مشكوك في ولائهم لها، لاستقلاليتهم المالية، وأبدلوهم بطفيليين آخرين موثوق من ولائهم ومتحكم فيهم!

والعبرة من كل هذا بأثر رجعي، هو أن مطلب إعادة هيكلة هذه المؤسسة عصرياً وإعادة تقييم كل ممتلكاتها بقيمها السوقية الفعلية، يعتبر مطلباً شرعياً ملحا، لأنه سيفتح المجال أمام الأوقاف لتقوم بدورها الاجتماعي والتنموي، خصوصاً أمام الأزمة العالمية الرأسمالية المتلبدة سحبها في الأفق، **بدل تجميد أموالها في بنوك ربوية، كما هو دأب الأوقاف اليوم لعدم توفرها على أطر كفوءة في توظيف أموالها بحسب متطلبات الشرع، ودون أن يدرك القيمون الأميون عليها أن هذا منكر لا يغتفر!.**

وقد وافاه أجله المحتوم في 27 يوليو/تموز بفرنسا 1934, ودُفِنَ بالعاصمة المغربية الرباط. ونقلت رفاته في 1961 إلى مرقده النهائي بفرنسا في مقبرة "الإنفاليد" (Les Invalides).

[20] أنظر : *دانيال ريفي: "ليوطي ومؤسسة الحماية الفرنسية في المغرب (1912 م - 1925 م)" في:*
Daniel Rivet, 1988: "Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912 - 1925)", Edition Harmattan, Vol. 3, pp. 121-153. Paris).

الملاحظة الثانية:

قول المستوزر: وقد فكرت!!!!!!! وزارة الأوقاف.....

قلت: لا يمكن فهم **الوضع القانوني والسياسي لوزارة الأوقاف**، من دون ربطها بحبلها السُّري ممثلاً بمؤسستين هرميتين تحكمتا فيها منذ نشأتها ولازمتها إلى اليوم وهما: وزارة الداخلية و**إدارة الأمن الوطني.**

لذلك، فقبل البحث عن خلفيات أي وزير شغل المنصب، توجب التعرف أولاً على المسؤوليْن في هاتين المؤسستين ، مادام الوزير، لا هو في العير ولا هو في النفير، سواء من جهة التسيير أو التدبير، ويأتمر بأمرهما في كل شاذة وفاذة، من خلال الكاتب العام لهذه الوزارة الذي عادة ما يأتي من إحدى هاتين المؤسستين.

والأخير، وهو معين بظهير كالوزير نفسه، يعتبر العقل المدبر والمسير للوزارة نظراً لديمومته، وليس الوزير العابر الذي هو بمثابة "التيس المستعار"، شكلي بالأساس، ولا يقدم ولا يؤخر.

وسنقوم فيما يلي باستعراض الوزراء الذين تعاقبوا على هذه الوزارة، ومنذ الاستقلال، لنثبت، ليس فحسب، أنه لم يوكل لأحدهم قط بمهمة اسمها: "التفكير" أو "الإشراف الإداري" أو "التربوي"، أو "أخذ المبادرة في أي موضوع كان"، بل لنقف عن كثب، عن التجاوزات الخطيرة التي حصلت خلال فترة توليتهم:

1) فترة السياسي والعلامة التقليدي: محمد مختار السوسي :

عين محمد مختار السوسي في منصب وزير الأوقاف للفترة (1955 إلى 1961) في أول حكومة مغربية برآسة **مبارك البكاي الهبيل** (يظهر في الصورة مع الملك محمد الخامس) : (من 7 ديسمبر 1955 إلى 25 أكتوبر 1956)، وشغل ذات المنصب **في الحكومة الثانية** (من 26 أكتوبر 1956 إلى 16 ابريل 1958)، والثالثة برآسة **محمد أحمد بلافريج** (من 12 مايو 1958 إلى 3 ديسمبر 1958)، و**الحكومة الرابعة** برآسة: عبد الله إبراهيم (من 24 ديسمبر 1958 إلى 21 مايو 1960)[21]، والحكومة الخامسة برآسة الملك الحسن الثاني[22] (من 27 مايو 1960 إلى 16 مايو 1961)[23]، وسادس حكومة برآسة الملك الحسن الثاني (من 26 فبراير 1961 إلى 2 يونيه 1961).

قلت:

وإلى شهر يونيو سنة 1961، كان الرجل القوي المشرف على جهاز إدارة الأمن الوطني منذ سنة 1956 هو محمد الغزاوي (الصورة) المنتمي إلى حزب الاستقلال، والمشرف أيضاً على **الشرطة السياسية**.

يقول عميل المخابرات المغربية **أحمد البخاري** (صورة ملتقطة له في ساحة البلدية بالدار البيضاء) بخصوص:"المخابرات الفرنسية" في مغرب الاستقلال:

كانت مصلحة مكافحة التجسس الفرنسية تتوفر على العشرات من المخبرين في جميع القطاعات: في الإدارات العمومية والخاصة، وفي المحيط القريب من الملك وأفراد العائلة الملكية، وداخل الأحزاب السياسية والنقابات، وفي الأوساط المالية والإعلامية والتجارية والصناعية والمنجمية والعقارية، وقطاع تربية المواشي الفلاحية، وكذلك في أوساط السلطات الإدارية والقضائية والأمنية والعسكرية وإدارة السجون.

ومن بين المخبرين الذين يعملون لصالح مصلحة مكافحة التجسس الفرنسية داخل المغرب، نجد أوفقير، وأحرضان[24]، والمذبوح، وأحمد الدليمي، والحسن الدليمي، واليوسي (من اليمين إلى اليسار: مولاي حفيظ العلوي، أوفقير، أحرضان، المذبوح وأحمد الدليمي)

---

[21] جمع الملك محمد الخامس رئاسة الوزارة مع ولاية العرش.

[22] جمع الملك الحسن الثاني رئاسة الوزارة مع ولاية العرش.

[23] توفي محمد الخامس المولود في 10 أغسطس سنة 1909، والذي ولاه الفرنسيون على عرش المغرب في سنة 1927، في 26 فبراير 1961، بعد عملية جراحية بسيطة على مسالكه التنفسية.

[24] يمثل أحرضان شأنه شأن أوفقير والدليمي وغيرهم نماذج من الخيانة بالوراثة، فوالده كان من قواد الاستعمار كما أنه هو نفسه كان من العناصر المغربية التي حاربت كمرتزقة إلى جانب القوات الاستعمارية في مواجهة حركات التحرر الوطني في العديد من المستعمرات. وقد ظل أحرضان مرتبطا بولية نعمته فرنسا ومخابراتها بعد الاستقلال الشكلي يأتمر بأمرها وينفذ توجيهاتها من خلال كل ممارسته السياسية. فهو أول من حاول تفتيت الوحدة الوطنية للشعب المغربي بتأجيجه للنعرة الطائفية مجدداً بإيعاز من فرنسا، معيداً عقارب الساعة إلى المؤامرة الاستعمارية التي حبكت في الظهير البربري الذي حاربه الوطنيون سنة 1930. وقائمة مخازيه طويلة ولا يستوعبها كتاب بأكمله. وآخر خرجاته، بحسب ما نقلت جريدة "الأحداث المغربية" بداية شهر أبريل سنة 2007 بأنه سافر إلى فرنسا ليحشد الأصوات لنيكولا ساركوزي، مرشح اليمين الفرنسي للانتخابات الرئاسية!. ولم يدر بخلد هذا العميل وهو في مرحلة رذالة العمر، أن فرنسيي الجيل الثاني من أصول مغربية هم فرنسيون أولاً وأخيراً ولا يمكن أن يتناغموا مع دينصور فيودالي ومتخلف لينتقص من مواطنتهم، ولا أن ساركوزي سيشرفه أن يتدخل رجل بأفق عقله لصالحه، لأن هذا قطعاً سيشينه!

والفاسدين الأربعة: بوشسيش، ولوني جوليات، وبباليس، ودوباي، ومولاي حفيظ العلوي..إلخ.

ويقول بخصوص مدير الأمن الوطني الغزاوي:

لقد التمس حزب الاستقلال، الذي كان يهيمن على الحياة السياسية في بداية الاستقلال، من الملك محمد الخامس تعيين محمد الغزاوي على رأس إدارة الأمن الوطني، لأن هذا المنصب كان أكثر أهمية في تلك الفترة من جميع المناصب الوزارية، بل أكثر أهمية من رئاسة الوزراء.

كان الغزاوي من أعيان حزب الاستقلال المقربين من علال الفاسي، وكان شديد الكراهية للمهدي بن بركة "الدينامو" و"الجوكر" بالنسبة للحزب وللطبقة السياسية المغربية، كما أن الغزاوي كان يتمتع بقوة يستمدها من ثرواته الطائلة وتفرع مشروعاته الاقتصادية، فقد كان يعد الثري الأول في البلاد لأن ثروته كانت تفوق ثروة العائلة الملكية.

بوصوله في مايو 1956 إلى إدارة الأمن الوطني، حدد الغزاوي هدفه في تصفية قدماء المحاربين في المقاومة الذين رفضوا التخلي عن السلاح والتعاون مع القصر وحزب الاستقلال، من دون رحمة، وكذلك في تصفية قادة وأعضاء حزب الشورى والاستقلال الذي تم القضاء عليه نهائياً بعد ذلك، ثم استعادة الأمن في البلاد بعد عامين أو ثلاثة من المقاومة المسلحة بين 1953 و1955، لكن دون نسيان القضاء على المستقبل السياسي لبن بركة.

وكان الغزاوي يتوافر على الضوء الأخضر من لدن الملك لتنفيذ مخططه الدموي، من أجل تقوية مكانته على رأس جميع أسلاك الأمن والشرطة في البلاد. وقد اتبع طريقة محددة في تحقيق هذه الأهداف، حيث اعتمد على قدماء المقاومين الموجودين في الدائرة السابعة بالدار البيضاء، بدءاً من الحسين الصغير نفسه، لاغتيال المئات من الأشخاص، كما اعتمد على مليشيات حزبه، الاستقلال، وبعض عناصر الدائرة السابعة للقضاء على رجال حزب الشورى والاستقلال،

أما مع المهدي بن بركة فقد اتبع مخططاً مختلفاً، إذ زج به في ملف اغتيال عباس المساعدي الذي كان يعد في بداية 1956 كرجل مسلح يمثل خطراً سواء بالنسبة للقصر أو لحزب الاستقلال.

لقد تم التخطيط لاغتيال المساعدي في جبال الريف بين 1954 و1955 من طرف عناصر الدائرة السابعة الذين أشرفوا هم أنفسهم على تنفيذ العملية بمشاركة اثنين من السياسيين كانا يقدمان على أنهما زعيمان في جيش التحرير الشعبي، وهذان الشخصان لا يزالان على قيد الحياة حتى اليوم رغم أنهما قد بلغا من الكبر عتياً[25]، لكن بن بركة الذي كان قد دخل في مفاوضات مع المساعدي من أجل الانضمام إلى حزب الاستقلال.

لم تكن له يد في عملية الاغتيال التي دبرها الغزاوي وقادها الحسين الصغير وحاولا إلصاق التهمة به لتدمير مساره السياسي منذ بداية العام 1956.

---

[25] يعني بالشخصين: الدكتور عبد الكريم الخطيب مؤسس "حزب العدالة والتنمية" أواخر سنة 1998، وعميل المخابرات الفرنسية المحجوبي أحرضان مؤسس حزب "الحركة الشعبية" مع الخطيب لمجابهة حزب الاستقلال.

ويضيف عن الغزاوي:

لم يكن الغزاوي يتردد في تمويل جميع صفقات الشراء والتموين التي تقوم بها الإدارة العامة للأمن الوطني خلال الفترة التي قضاها على رأس الأمن الوطني كما أنه كان وراء بناء العديد من مقرات مفوضيات الأمن الوطني والمساكن الوظيفية الخاصة برجال الأمن، بل إنه مول من ماله الخاص بناء البنايتين الكبيرتين بزنقة مولاي إدريس بالرباط/حسان قبل مغادرته إدارة الأمن نحو المكتب الشريف للفوسفاط، حيث أصبحت إحداهما مقر "الكاب 1" بداية من شهر سيبتمبر 1960، والثانية استغلت كسكن وظيفي لعمداء وضباط الكاب1.

ومما لا شك فيه أنه كان يعتبر هذه النفقات الكبرى استثماراً على المدى الطويل لأنه كان ينوي المكوث طويلاً على رأس إدارة الأمن.

وبما أنه عاش في الولايات المتحدة الأمريكية سنين من الزمن، فلربما أراد تقليد الأمريكيين: إدغار هوفر، وآلن دلاس، الذين كان زعيمي مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية لسنين طويلة.

قد يكون محمد الغزاوي تلقى وعداً من هذا القبيل، لكن التجاوزات الكثيرة التي ارتكبها أفراد الشرطة السياسية ورجال المقاطعة الأمنية السابعة عجلت برحيله من إدارة الأمن.

في السياق نفسه دق خبراء الأمن ب "الموساد الإسرائيلي"، الذين كانوا يتابعون كل ما يجري بالمغرب خلال تلك الفترة، ناقوس الخطر، ونحوا إلى الانتباه للخطر الذي بات يمثله "حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" الجديد.

وجاء هذا التنبيه في تقرير سري موجه إلى القصر الملكي، وفيه شككوا كذلك في كفاءة محمد الغزاوي والخطر الذي صار يشكله رجال اليسار وعلى رأسهم المهدي بنبركة، ....

وفي نهاية التقرير حث خبراء الموساد وأوصوا بضرورة رحيل محمد العزاوي واستبداله بأحد الضباط العسكريين مثل: المذبوح أو أوفقير، واستبدال رجال المخابرات الفرنسية بخبراء أمريكيين من وكالة المخابرات المركزية، وتعيين ضابط كفؤ على رأس الاستخبارات العسكرية وضرورة وجود خبراء أمريكيين في هذه المصالح.

وتوجد نسخة من هذا التقرير حول محمد الغزاوي محفوظة في الأرشيفات المذكورة بعد أن اطلع عليها ضباط مصلحة مكافحة التحسس الفرنسية سنة 1960.

ويقول البخاري عن **الشرطة السياسية** أيام الغزاوي:

{إن عناصر هذه الشرطة السياسية لم تتلق أي تكوين في مصالح الاستخبارات والتوثيق حيث أن كل ما كانوا يحسنون صنعه هو الاغتيالات والاختطافات وإخفاء الأشخاص واستعمال البنادق الأوتوماتيكية والقنابل اليدوية والمسدسات.

وأمام إلحاح جهاز الموساد (الإسرائيلي) الذي انتبه إلى القصور الكبير الذي كان يشكو منه جهاز الشرطة السياسية والمسئول الأول آنذاك على مصالح الأمن بالمغرب قررت السلطات العليا بالبلاد (القصر) أن تحدث تغييراً كبيراً على رأس الإدارة العامة للأمن الوطني ومصالح الشرطة السياسية، فعينت الكولونيل محمد أوفقير مكان محمد الغزاوي وعهدت بتنظيم مراقبة مصالح المخابرات إلى للخبراء الأمريكيين سالفي الذكر.

هكذا عين الكولونيل أوفقير بظهير شريف مديراً للأمن الوطني خلال شهر يوليو من العام 1960[26].

[26] أي في أو اخر عهد الحكومة الخامسة برآسة الملك الحسن الثاني.

وبعد ذلك وضع الأمريكيون ثلاثة خبراء من وكالة الاستخبارات المركزية في خدمة المغرب ![27] ويتعلق الأمر بالكولونيلات: مارتن، وسكوت، وستيف[28] الذين كانوا مكلفين بتكوين عناصر المخابرات المغربية وتعيينهم وتنظيم مصالح المخابرات ومراقبة جميع أنشطتها.

وفي شهر سبتمبر من العلم 1960 أحدث "الكاب 1" (CAB-1) ليحل محل الشرطة السياسية وافتتحت العمارة الكبيرة بزنقة مولاي ادريس بالرباط حسان التي بناها الغزاوي بين 1958 – 1960 على يد الأمير ولي العهد مولاي الحسن لتكون مقراً رئيسياً لمصالح المخابرات المركزية "الكاب 1"}

ويقول عن أوفقير:

في يوليو 1960 تم تعيين **العقيد محمد أوفقير مديراً عاماً للأمن الوطني** خلفاً لمحمد الغزاوي الذي أقيل من منصبه ونقل إلى المكتب الشريف للفوسفاط.
كان أوفقير قد خدم في الجيش الفرنسي وعمل في "مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة التجسس" الفرنسية، وبعد عودة **الملك محمد الخامس** من منفاه عام 1955 **تم تسريبه ليكون واحداً من محيط القصر، وقد اشتغل طويلاً لفائدة الموساد" الإسرائيلي".**

كان تعيين أوفقير في ذلك المنصب راجعاً إلى التأثير القوي الذي كانت تمارسه ثلاث مصالح أجنبية في المغرب: **الموساد**، و**جهاز الاستخبارات الأمريكية**، **ومصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة التجسس الفرنسية**، وكانت كلها قريبة من الملك لدواعي تتعلق بأمن القصر وأمن البلاد، **وقد لعبت النصائح "الإسرائيلية" دوراً في إقناع الملك محمد الخامس** ليطلب من جهاز الاستخبارات الأمريكية إرسال ثلاثة خبراء أمريكيين لكي يعيدوا تنظيم وهيكلة المخابرات المغربية والإشراف عليها لمدة غير محددة لضمان أمن النظام والبلاد!.

ويقول عما جمع بين أوفقير وأحمد الدليمي ووالده الحسن الدليمي كخونة جذريين:

قبل تعيينه على رأس الأمن الوطني لم يكن **أوفقير** قد عمل سابقاً في أي إدارة للاستعلامات والتوثيق، ولا في مصلحة للأمن، وكانت رتبته في "**مصلحة التوثيق الخارجي" الفرنسية** هي: عميل مصدر للمعلومات في مكاتب المقيم العام بالمغرب تم تعيينه في تلك الرتبة في الفترة ما بين 1948 1949 بتدخل من "الحسن الدليمي" الذي كان الضابط المغربي الوحيد في فرع "مصلحة التوثيق" بالرباط، وهو والد أحمد الدليمي الذي أصبح أحد محميي أوفقير في "الكاب1" بين 1961 و1966، ثم عدوه الأول بين 1967 و1972.

أما في **الموساد** فقد كان **أوفقير عميلاً مصدراً للمعلومات أيضاً في سنوات الأربعينيات بتدخل من اثنين من عملاء الموساد بالمغرب، هما السيدة داحان، صاحبة خمارة "لاماماس " بالقنيطرة، وزوريتا صاحبة خمارة "ويشيتا" في "عين الذياب" بالدار البيضاء .**

ويجب هنا أن أوضح أن العميل مصدر المعلومات ليس هو العميل السري الضابط أو العميل المعالج الذي يتناول المعلومات من المصدرين الأولين في لقاء سري ويحلل طبيعتها ويكتب التقارير الموجهة إلى من هم فوقه، وهو يقوم بدور الوسيط بين العملاء السابقين وبين المسؤولين الذين يتبع لهم.

---

[27] **يفهم العم سام**
[28] أسماء على غير مسميات، لأنها ليست الأسماء الحقيقية لهؤلاء العملاء!

ولقد تعرف **الحسن الدليمي** على **أوفقير** عن طريق المقدم "**الشنا محمد عبد القادر**" والد **فاطمة أوفقير** (زوجة أوفقير فيما بعد)، وكانت بين الشنا والدليمي علاقة عمل في إحدى المناطق القروية بجهة الغرب.

قلت: وللقارئ أن يتساءل:

ما محل إعراب **عالم تقي نقي ورع** من شاكلة **محمد المختار** رحمه الله، وسط هذا العش من الزنابير الذي تتقاطع فيه عوالم: الزندقة، والعمالة للأجنبي بالوراثة أباً عن جد، والمافيا، ومخبري الموساد، ومخبري المخابرات المركزية الأمريكية، ومخبري المخابرات الفرنسية، دون الحديث عن المخابرات الروسية، والصينية،...إلخ.؟

وأذكر للتاريخ، جانباً آخر من الوجه الكالح للغزاوي، بعد أن وقفنا على سجله الإجرامي المشين في حق المغاربة:

ذلك، أنني ولجت يوماً باحة كلية الآداب بالرباط أثناء إضراب طلابي في سبعينيات القرن الماضي، وشرعت في قراءة بعض الإعلانات التي تنشرها إدارة الكلية للطلبة مثل البرامج والدروس والمحاضرات...

وبينما أنا على هذه الحال بداخل الكلية الفارغة تماماً من طلابها وأساتذتها مع الظهيرة، إلا من شخصين لمحاني وأجالا في النظر لبرهة ثم لم يباليا، فعرفت للتو أنهما من ذلك الصنف الذي ينعته الطلبة في تلك الفترة باسم "**الإيواكس**": طائرة الاستطلاع الأمريكية المشهورة.

وسمعت أحدهما وهو يقص على صاحبه قصة بصوت جهوري، وكأنه يريد أن يشركني في الاستماع إليها، مفادها أن محمد الغزاوي أمر من خلط ومزج باحترافية بعض الخمر من نوع الويسكي مع مشروب الكوكاكولا، وأهدى منها صندوقاً من القارورات المعهودة لمحمد المختار وزير الأوقاف قائلاً له بأن هذه كوكاكولا صنعت في أمريكا وليست من صنع مصنعها في الدار البيضاء.

وبعد مدة سأل الغزاوي بحضور كاتبه حصار وبعض مقربيه الآخرين محمد المختار:
- كيف وجدت طعم الكوكاكولا يا سيد مختار؟
فأجاب على سجيته:
- طعمها لذيذ!، هلا أمددتني بصناديق أخرى!

فانفجر الفاجر الغزاوي ومن معه في الضحك، وهو يقول له:

- مع الأسف يا سيد مختار! لم تعد المصانع الأمريكية تصنع هذا المشروب بذات النكهة!

وشرع الإيواكسيان في الضحك بدورهما بصوت مرتفع، غير عابئين بوجودي وهما يعلقان:
- ضحك على الفقيه !
- أعجبه الويسكي وحسبه كولا !

ثم سألت ثقة مقرب من هذه الأوساط فأكد لي الحادثة وقال بأنها حُدُوتَة الأمنيين يتداولونها فيما بينهم كنكتة ومنهم انتقلت إلى غيرهم!

والأدهى والأمر! أن الغزاوي هو من تعقب المقاومين الذين لم يقبلوا بهذا الاستقلال الصوري، الذي عارضه الأمير عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي اللذين كانا مقيمين بمصر، حتى اغتالت الشرطته السياسية المؤتمرة بأمر هذا المجرم قرابة الألف منهم خلال الخمس سنوات التي قضاها كمدير أمن عام!

ولا شك أن فرنسا، لم ترد أن تجابه الشمال الإفريقي كله في انتفاضة عارمة، بحسب ما تم الاتفاق عليه بين الأحزاب الرئيسية الثلاثة في كل من المغرب، والجزائر، وتونس، مع الأمير عبد الكريم الخطابي منسق تحرير المغرب العربي من القاهرة، حيث كان لاجئاً بها منذ عهد الملك فاروق، فوهبت فرنسا استقلالاً صورياً للمغرب وتونس، لتحثهما على غلق حدودهما كدول مع الجزائر، ليتفرغ عسكرها للقضاء على ثورة هذا القطر الشقيق الذي كانت تعده جزءاً منها!

وهو ما أطال مأساة الشعب الجزائري 7 سنوات أخرى!

لقد كان هذا الاستقلال الممنوح قنبلة موقوتة سيدفع جيل الاستقلال ثمنها غاليا، لأن علماء القرويين وهم من استنهضوا الشعب وأطروه وحمسوه وحثوه على التضحية والصبر والمثابرة، لم يكونوا من حيث تكوينهم وتأهيلهم في مستوى عصرهم ليتمكنوا من جني ثمار جهودهم غلابة، عندما نضجت وآن أوان قطافها، فجنى "الثمار" صبيان النظرية المدغولين وغير المحصنين تاريخياً وعقائديا لبرهة زمنيه محدودة، قبل أن تنهال عليهم معاول المخابرات الداخلية والدولية، وتنتهي التركة، حين ولات مناص، إلى أجلاف الخونة والعملاء القدماء، الذين أعادوا إنتاج ذواتهم، وأرجعوا البلد القهقرى إلى مربعه الأول تحت أقدام المستعمرين.

لذلك، يعتبر تحيين المسلمين، كل بحسب فهمه وأفقه الذي يجب أن يظل متجدداً باستمرار، إلى مستوى ما نعرض على موقعنا، ضرورة دينية ملحة، كي يرتفعوا إلى مستوى أفق نبض العصر ويتناغموا في المطلق مع مستجداته في مصادرها ومنابعها حيث الفعل الحضاري، وليس باجترار ما لا فائدة فيه مما أكل عليه الدهر وشرب وصار خارج زمانه ومكانه.

وهذا وحده ما سيضمن خروج المسلمين من عنق زجاجة تخلفهم التي واكبتهم لعدة قرون، ويعانقوا الحضارة من جديد ليحملوا مشعلها، حيثما وجدوا على سطح هذه المعمورة وحتى خارجها لاحقاً.

انتهى: ويليه الجزء الثالث.